(٢٠)

خُلق الرسول محمد ﷺ
ووجوب الاقتداء به[١]

● **الخطبة الأولى :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمين :

رب ضارة نافعة :

يقول العرب : رب ضارة نافعة . ويقول الصوفية : كم من منحة في طيها محنة . وقبل ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء:١٩) نقول هذا بمناسبة تلك الرسوم الخبيثة السيئة ، التي ظهرت في صحف الدانمارك وغيرها في بلاد الغرب ، تسيء إلى صفوة خلق الله ، وخاتم رسل الله ، سيدنا محمد ﷺ . هذه الرسوم كان من ورائها خير كثير ، وإن أساءت إلى رسول الله ، وأساءت إلى أمة الإسلام كلها ، في مشارق الأرض ومغاربها .

الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم :

كان من هذا الخير ، ومن هذا النفع ، الذي جرته هذه البلوى وهذه المكاره ، أنها أثبتت أن هناك أمة إسلامية لم تزل حية ، ولم تمت ، ولم تهل عليها الأتربة في القبور . لا زالت هذه الأمة حية ، أثبتت هذه الرسوم المسيئة المزرية المنحطة

---

(١) ألقيت هذه الخطبة بمسجد عمر بن الخطاب بالدوحة في يوم الجمعة ١٩ من محرم ١٤٢٧هـ الموافق : ١٧ فبراير ٢٠٠٦م .

OBEIKAN.COM

أثبتت أن هناك أمة إسلامية ، وأنها حقيقة لا وهم[1] ، وأن هذه الأمة غضبت لرسولها ومحمدها عليه الصلاة والسلام . من المحيط إلى المحيط . من جاكرتا من الفلبين إلى الرباط وإلى موريتانيا . من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي .

أثبتت هذه الرسوم وهذه الإساءات والإهانات ـ لنبي الإسلام ـ أثبتت أن هناك أمة ، وأن هذه الأمة غضبت لرسولها ومحمدها ، وقامت تعلن استعدادها للدفاع عن رسولها ، وبذل النفس والنفيس في سبيل هذا الرسول عليه الصلاة والسلام .

هذا كسب كبير ، كان كثير من الناس يشكك أن هناك أمة إسلامية ، يقولون : لا توجد أمة إسلامية ، هناك أمة عربية ، وأمة هندية ، وأمة تركية ، وأمة كذا . . وأمة كذا . . ولكن لا توجد أمة إسلامية ، هذا الحادث أثبت للناس : أن هناك أمة إسلامية .

أن أمة محمد ، أمة القرآن ، أمة الإسلام ، أمة التوحيد ، أمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ؛ لم تزل حية .

كلمة التوحيد توحد الأمة :

ثم أثبتت بعد ذلك : أن هذه الأمة لا تزال توحدها أشياء كثيرة . صحيح أن السياسة فرقتها ، مزقتها كل ممزق ، ذهبت بها يمنة ويسرة ؛ عن طريق المناهج الوضعية ، والمذاهب المستوردة ، من الشرق والغرب ، ومن اليمين واليسار . هذه مذاهب اشتراكية ، وتلك مذاهب لبرالية ، وهذا يميل إلى تلك العاصمة ، وذاك إلى آخر ، وهذا يتجه إلى قبلته في واشنطن ، وآخر يتجه إلى قبلته في باريس . . . وهكذا .

---

(١) يراجع كتابنا : (الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم) ضمن (سلسلة رسائل ترشيد الصحوة) طبع مكتبة وهبة القاهرة .

OBEIKAN.COM

ولكن أثبتت هذه الحوادث : أن هناك هذه الأمة التي مزقتها السياسات والأيديولوجيات ، والعصبيات المختلفة ؛ العصبيات العرقية ، والعصبيات اللونية ، والعصبيات اللغوية ، والعصبيات الأيديولوجية ، هذه الأمة لا تزال أمة واحدة ، وتحتاج إلى محرك يحركها ، وإلى قيادة تقودها ، لا زالت (لا إله إلا الله محمد رسول الله) هي التي تجمع هذه الأمة ، في مشارق الأرض ومغاربها . هذا مكسب كبير أيضا .

الدين هو المحرك الأول للأمة :

ثم دلت على أمر ثالث ، أن هذه الأمة لا زال الدين هو المحرك الأول لها ، الدين هو الذي يوجه مسيرتها ، هو الذي يحرك مشاعرها ، وهذا ما رأيناه في هذه القضية . حينما مس قدس الأقداس عند المسلمين ، قدس الأقداس عند المسلمين يتمثل في أمرين اثنين : القرآن الكريم ، والرسول الذي أنزل عليه هذا القرآن .

وربما غضب الناس للرسول أكثر مما يغضبون للقرآن ، لأن القرآن شيء تجريدي نظري ، إنما الرسول شخصية ، الناس تغضب للمُجَسد والمُحَسّ أكثر للمعنوي . وخصوصا أن هذه الإساءات إساءات ليست بمجرد الكلام ، هي رسوم وصور ، يعرفها القارئ والأمي وكل أحد . وهي صور مسيئة غاية الإساءة ، مسفة غاية الإسفاف . ولذلك حركت سواكن الأمة . فجّرت مكنونات الأمة ، أثارت الأمة من أعماقها ، فغضبت الأمة لرسولها .

أثبتت هذا ، أن الدين ليس شيئا تافها ، ليس شيئا عارضا ، ليس شيئا طارئا على الحياة ؛ بل هو جوهر الحياة ، وسر الوجود ، ربما لا يعرف ذلك الغربيون ، لأن الدين عندهم على الهامش ، وربما ليس له وجود . أما الدين عندنا فهو سر حياتنا ، الدين عندنا أساس وجودنا ، الدين عندنا جوهر بقائنا ، فلذلك أثبتت هذه المأساة أهمية الدين في حياتنا .

ومن هنا ينبغي أن نستفيد من هذه المناسبة ؛ لنعلم الأمة من جديد ، ونؤدب الأمة من جديد ، ونقودها من جديد ؛ قيادة حكيمة بصيرة ، حتى تسير على نور ، وعلى بصيرة ، وعلى بينة من أمرها .

المسيرات علامة على الحب لكنها وحدها لا تكفي :

نحن قلنا للمسلمين ـ ولا زلنا نقول ذلك ـ إننا لا ينبغي أن نكتفي بمسيرات الغضب التي غضبت للنبي ﷺ ـ فداه أبي وأمي رسول الله ـ هذه المسيرات دلّت على أن الأمة تحب رسولها ، وحب رسول الله جزء من الإيمان ؛ كما قال عليه الصلاة والسلام :« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه ، وولده ، وماله ، والناس أجمعين[1] » . حب رسول الله وحب الله هو من أصول الإيمان ، « أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما[2] » .

حب النبي ﷺ له متطلبات :

أيها الإخوة : ولكن الحب وحده لا يكفي . لا يكفي أن تقول : أنا أحبك ، ولكنك لا تقوم بحقي ، الحب يتطلب أشياء .

الاتباع دليل الحب :

أن تحب الله ورسوله ، معنى هذا : أن تتبع رسول الله ﷺ . أن تؤمن برسالته وبما جاء به ، أن يكون هواك تبعا لما جاء به محمد ﷺ[3] ، أن تجعل حياتك ومسيرتك كلها مقيدة بتعاليم رسول الله ﷺ ، ألا تسير وحبلك على غاربك ،

---

(١) متفق عليه عن أنس بن مالك ، وقد سبق تخريجه .

(٢) متفق عليه عن أنس بن مالك ، وقد سبق تخريجه .

(٣) إشارة إلى حديث : عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ :« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » رواه الخطيب البغدادي في التاريخ (٣٦٩/٤) والبغوي في شرح السنة رقم (١٠٤) وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٥) وابن بطة في الإبانة (٣٨٧/١) وهو الحديث (٤١) في الأربعين النووية ، وقال النووي : حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح .

OBEIKAN.COM

تفعل ما تشاء وتحكم ما تريد ، لا ، ليس هذا من الإيمان في شيء ، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (النساء:٦٥) ، لا بد أن تسلم لحكم رسول الله ﷺ . ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾ (الأحزاب:٣٦) ﴿ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا ﴾(الأحزاب:٣٦) إذا قضى الله ورسوله أمرا ، إذا قال : هذا حلال ، أو هذا حرام ، أو هذا فرض ، أو هذا مستحب ؛ فليس لك خيار أمام حكم الله ورسوله .

حب المنافق زعم :

لا تكن كالمنافقين الذين يقبلون من الأحكام ما يوافق هواهم ، ويرفضون ما لا يوافق أهواءهم ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٥١) ليس أمام المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله ، وظهر لهم هذا الحكم بيّنا ، ليس لهم أن يتلكئوا ولا أن يترددوا ولا أن يتعللوا بمعاذير واهية ، بل عليهم أن يقبلوا ، ويحنوا رؤوسهم ، أمام النصوص المحكمة القاطعة ، وأن يقولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور:٥١) ، ولا يكونوا كالمنافقين الذين قال الله عنهم : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ (النساء:٦١) ، يعرضون إعراضا ، ولا يقبلون بما جاء به الله والرسول ، ليس هذا شأن المؤمنين .

الإيمان لا يتجزأ :

المؤمن يذعن ويؤمن لما جاء به الله ورسوله ، ويقول : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ، ويتّبع كل ما جاء به الله ورسوله . لا يتخير ؛ يقبل أحيانا ، ويرفض أحيانا ؛

هذا شأن بني إسرائيل مع كتابهم ، وقد قرعهم الله أشد تقريع وأقساه في كتابه حينما قال : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة:٨٥) ، لا . لا يقبل البعض ويرفض البعض . هذا هو النفاق . تقبل كل ما جاء به الله ورسوله ، ولذلك قال الله تعالى لرسوله : ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ ، ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ لأنك إذا أعرضت عن بعض ما أنزل الله إليك ، فكأنك أعرضت عن الكل . لا يجوز أن تقبل بعضا من هذا الدين وتترك بعضه .

القرآن ١١٤ سورة ؛ هل يجوز أن تقبل القرآن كله وتقول : لكني لا أقبل سورة ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص:١) ، أو سورة ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾ (الكوثر:١)، أو سورة ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾(العصر:١-٢)! لا يجوز . لا بد أن تقبل القرآن كله ، هذا هو الدين . لا بد أن تأخذ الإسلام كله .

ولذلك إذا كنا نحب الله ورسوله ؛ فلا بد أن نؤمن بكل ما جاء به القرآن ، ولا بد أن نعمل بكل ما جاء به القرآن ، وبكل ما جاء به رسول الله ﷺ مبينا للقرآن ، فقد كانت مهمته : أن يبين للناس ما نُزّل إليهم كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

(النحل:٤٤)

محمد ﷺ جاء بكل خير[1] :

علينا أن نتبع ما جاء به رسول الله ﷺ ، وهو لم يجئ إلا بما فيه الخير ، ما فيه النور ، ما فيه الهداية ، ما فيه الرحمة ، ما فيه مصلحة للناس جميعا .

---

(١) ذكرنا ذلك بالتفصيل في كتابنا (البابا والإسلام) طبع مكتبة وهبة القاهرة ٢٠٠٧م ، فليراجع .

ولم يكن يريد لنفسه شيئا ، ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(يونس:٧٢)، ﴿ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ (ص:٨٦) ، إنما كان يريد أن يهدي الناس إلى التي هي أقوم ، أن يخرجهم من الظلمات إلى النور ، أن يهديهم إلى صراط ربهم العزيز الحميد ، أن يصلح من أحوالهم ، أن ينتقل بهم من الجهل إلى العلم ، من الضلالة إلى الهدى ، من الفوضى إلى النظام ، من الشرّ إلى الخير ، من الفساد إلى الصلاح ، من الرذيلة إلى الفضيلة . ينتقل بهم إلى كل خير ، كما قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (النحل:٨٩) وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٥٧) .

ولذلك علينا ـ نحن المسلمين ـ وقد ظهرت منا هذه العواطف الجياشة الصادقة ؛ نحو رسول الله ﷺ : أن نحققها في حياتنا ، ونجعل منها واقعا معيشا ملموسا ، ولا تكون مجرد عواطف طائرة في الهواء ، نريد أن نثبتها ، وأن نجعل لها كيانا في حياتنا .

نريد أن نحول حبنا لرسول الله ﷺ إلى إيمان صادق ؛ بكل ما جاء به من الهدى ودين الحق ، بكل ما جاء به من البينات ، بكل ما جاء به من العقائد الصادقة ، وما جاء به من العبادات الخالصة ، وما جاء به من الأخلاق الفاضلة ، وما جاء به من القيم الراسية ، وما جاء به من التشريعات العادلة ؛ التي تنظم أمر الحياة ، وعلاقات الناس بعضها ببعض ؛ على أقوم ما يكون ، وأعدل ما يكون ، وأمثل ما يكون .

تحويل الحب إلى واقع ملموس :

علينا أن نؤمن بهذا . وعلينا بعد هذا أن نتبع ونعمل بكل ما جاء به محمد ﷺ ، نجعله واقعا في حياتنا ، في حياتنا الفردية ، حياة كل إنسان في

سلوكنا الشخصي ، يحل ما أحل الله ويحرم ما حرم الله ، في حياتنا الأسرية ، في علاقاتنا الأسرية ، علاقة الرجل بزوجته ، وعلاقة المرأة بزوجها ، وعلاقة كل منهما بأولادهم بنين وبنات ، وعلاقة الأبناء بآبائهم وأمهاتهم ، وعلاقاتهم بأصولهم وفروعهم ، وعلاقاتهم بعصباتهم ، وعلاقاتهم بأرحامهم ؛ بأخوالهم وخالاتهم ، بأعمامهم وعماتهم ، بأجدادهم وجدّاتهم .

فالإسلام جاء بالأسرة الواسعة ، الأسرة الموسعة ، الأسرة الممتدة ، ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٥) ، علينا أن نعمل بالإسلام في مجتمعنا ، نقيم المجتمع المسلم الذي يرتبط بعضه ببعض ، على أساس من التعارف والتعاطف ، والتراحم والتعاون ؛ التعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان ، نكون « كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا[1] » كالجسد الواحد إذا تداعى منه عضو ، تداعى له الجسد الواحد بالحمى والسهر[2].

حب الرسول يقتضي : إقامة أمة تتحاكم إلى القرآن :

هناك تعليمات وأحكام تضبط علاقات هذا المجتمع وتنظمها بالتشريعات المحكمة ، وبالتوجيهات والوصايا الأخلاقية ، التي تجبر نقص التشريعات .

علينا أن نقيم أمة من هذه المجتمعات المحلية المختلفة ، نقيم منها كلها أمة واحدة ، أمة وسطا ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة:١٤٣) .

هكذا ينبغي أن نقيم الإسلام في حياتنا ، لا يكون الإسلام مجرد شيء نظري ، نتحدث عنه ونتكلم عنه ونخطب فيه ونحاضر فيه فإذا نظرنا إلى الواقع نجد

---

(١) متفق عليه عن أبي موسى ، وقد سبق تخريجه .

(٢) إشارة إلى حديث النعمان بن بشير ، وهو متفق عليه ، وقد سبق تخريجه .

الإسلام غريبا ، لا ، نريد الإسلام حيا واقعا ، مشاهدا في حياتنا ، في حياة كل منا أفرادا وأسرا ومجتمعات وأمة ودولة .

نريد دولة إسلامية تحكم بما أنزل الله ، تقيم العدل بين الناس ، تقيم عدل الله في أرض الله ، ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج: ٤١) .

هذا ما نريده من المسلم .

حب الرسول يقتضي : الدعوة إلى دينه :

نريد من المسلم في هذه المناسبة لكي يحب رسول الله حقا ، ولكي يؤمن به حقا ، ولكي يؤمن برسالته حقا ، ولكي يتحمس للعمل بها ، ويدعو غيره إليها ، لأن المسلم كما هو مطالب بالعمل برسالة الإسلام مطالب إلى دعوة غيره إلى رسالة الإسلام ، كل مسلم مطالب بأن يدعو غيره إلى ما يؤمن به .

الإسلام لا يكتفي منك بأن تكون صالحا في نفسك وتقول :(أنا ما لي ومال الناس)!! لا ، الله تعالى يلزمك على أن تعمل على إصلاح غيرك كما أصلحت نفسك ، أصلح نفسك وادع غيرك .

انظر إلى سورة العصر : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر: ١-٣) .

لم يكتف من الإنسان أن يؤمن ويعمل الصالحات ويعيش وحده ؛ لا . لا بد أن توصي غيرك بالحق ، وتقبل الوصية من غيرك بالحق ، لا بد أن تتفاعل مع غيرك من أبناء المجتمع حتى يقوم المجتمع الصالح ، وتواصوا بالحق ، ولا تكتفي بهذا لأن الحق طريقه طويل ، وأعباؤه شاقه ، فلا بد أن توصي غيرك بالصبر ، وتقبل من غيرك الوصية بالصبر ، الصبر على الحق وتكاليف الحق ، ﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ (العصر: ٣) .

لابد أن تدعو إلى رسالة الإسلام ، تدعو غيرك ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ (يوسف:١٠٨) ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ .

إذا كنت ممن اتبع محمدا ﷺ ؛ فيجب أن تدعو إلى الله ، أن تكون داعيا إلى الله ، وداعيا على بصيرة وعلى بينة .

والدعوة إلى الإسلام تقتضي العلم[1] :

وهذا يقتضي منك أن تعرف الإسلام الذي تدعو إليه ، كيف تدعو الناس إلى شيء وأنت لا تعرفه ، ولا تعلمه على حقيقته ، بل كيف تعمل بهذا الإسلام وأنت لا تعرفه؟

ولذلك كان العلم بالإسلام مقدما على العمل بالإسلام ، العمل إمام والعمل تابعه .

الإمام البخاري رضي الله عنه يقول : (باب العلم قبل العمل[2]) ويستدل على ذلك بقول الله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾ (محمد:١٩) ، اعلم ، أولا : اعلم ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ وبعدين (اسْتَغْفِرْ) ، الاستغفار عمل ، فالعلم قبل العمل .

لا بد أن تعلم ما هذا الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، ولذلك كان « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة[3] » ، هناك قدر من العلم لا بد أن يعرفه كل مسلم ، لا بد أن تعرف من أمور عقيدتك ما تصحح به عقيدتك ، لا تدخل

---

(١) راجع لفضيلة الشيخ خطبة (محطة العلم) من خطب هذا الجزء ص ١٧٠ .

(٢) هو الباب العاشر من الكتاب الثالث (كتاب العلم) .

(٣) رواه ابن ماجه عن أنس ، والطبراني في الكبير عن ابن مسعود ، وقد سبق تخريجه .

OBEIKAN.COM

فيها الخرافات ولا الأضاليل ، ولا الشركيات ولا الأشياء التي تهدم العقيدة من أساسها ، أو تلوثها بعد نقائها ، اعرف من دينك ، اعلم ﴿ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾، لا بد أن تعرف ، هذا فرض على كل مسلم .

وفرض على كل مسلم أن يعرف من أمور عبادته ما يؤدي به العبادة سليمة خالصة لله تعالى ، بعيدة عن النقص والقصور ، بعيدة عن الرياء ، بعيدة عما ينقص هذه العبادة ، ويجعلها تقصر عن القبول عند الله ، ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة:٥) .

لا بد أن تعرف من العقائد ، ومن العبادات ، ومن الأخلاق ، والفضائل ، ومن الأمور الشرعية ، ومن أمور الحلال والحرام ؛ ما يمكن أن تقع فيه .

لا بد أن تعرف أنك تأكل من حلال لا من حرام ، وأنك تشرب من حلال لا من حرام ، وأنك تلبس حلالا لا حراما ، وأنك تبيع وتشتري في حالة حلال وليس في حالة حرام . كل ما يمكن أن تقع لا بد أن تعرف حكمه ، هذا فرض عليك .

حب الرسول يقتضي : معرفة سيرته :

ولا بد أن تعرف قدرا من سيرة رسولك ﷺ ، يجعلك تؤمن بهذا الرسول عليه الصلاة والسلام ، لا بد لكي تقول إن محمدا رسول الله ، لا بد أن تكون مطمئنا إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، وهذا يدعوك إلى أن تقرأ سيرة هذا الرسول إن كنت قارئا ، أو تسمع من العلم إن لم تكن من أهل القراءة .

كثير منا لا يعرف عن سيرة النبي ﷺ إلا قشورا ، ربما كان بعضها من الأشياء التي لا تثبت عن الرسول ، أساسها أحاديث موضوعة ، أو حكايات مكذوبة ، إشاعات تتناقلها الناس بعضها عن بعض ، فليس هذا المقصود بالسيرة .

السيرة المراد معرفتها :

نريد هذه السيرة الحية العاطرة ، التي تمثل هذا النبي العظيم منذ ولادته إلى أن توفاه الله عز وجل ، وهي سيرة كلها نور على نور ، وكلها طيب من طيب ، وخيار من خيار ، منذ ولادته عليه الصلاة والسلام .

لا تتعلق بالخرافات التي نسمعها في قراءة الموالد ، أن الرسول حينما حملت به أمه في أول شهر رأت سيدنا آدم ، وفي ثاني شهر سيدنا شيس ، وسيدنا إدريس ، وسيدنا فلان ، هذه خرافات .

اعرف السيرة الصحيحة ، اقرأها في كتاب صحيح ، وهذا ما جعلنا نعلن منذ الأسبوع الماضي أننا سنتحدث في سلسلة خطب عن رسول الله ﷺ ، ونعرف بها عظمة هذا النبي الكريم ، الذي يجهله كثير من المسلمين أنفسهم ، فلا عجب أن يجهله الغربيون ، وأنشأنا موقعا ، على إسلام أون لاين يتحدث عن رسول الله بلغات شتى ، يبدأ عن قريب باللغة الإنجليزية إن شاء الله .

وهكذا ينبغي أن ندرس سيرة رسول الله ﷺ .

موقف السلف من السيرة :

كان الصحابة كما يقول سيدنا سعد بن أبي وقاص : كنا نروي أبناءنا مغازي رسول الله ﷺ ، كما نحفظهم السورة من القرآن[1] .

يعلموهم سور القرآن ويحدثوهم ماذا فعل النبي ﷺ في هجرته ، ماذا فعل الرسول والمسلمون في غزوة بدر؟ ماذا أصابهم في غزوة أحد؟ ماذا كان في غزوة الخندق أو الأحزاب؟ ماذا في خيبر؟ ماذا في بني قينقاع؟ في بني النضير؟ . . . إلى آخره .

---

(١) انظر : البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٢٤٢) .

يحدثونهم ، يعلمونهم ، يرونهم ، يروي لهم ، بدل ما يروي لهم الحواديت و(الغولة) والعفاريت . . . . وهذه الأشياء ، يروي لهم سيرة رسول الله ﷺ ، وبدل ما يقرأ الشباب الروايات المستوردة والمترجمة من الخارج وفيها ما فيها من الأباطيل ، وفيها ما فيها من الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، يتعلمون سيرة رسول الله ، يعرفون هذه البطولات التي حدثت ، يعرفون هذا الفداء ، أن هذا الإسلام الذي وصل إليهم ؛ لم يصل إليهم عفوا صفوا ، إنما وصل بعد تضحيات هائلة ، بعد دماء أريقت وأرواح أزهقت ، وأموال بذلت ، ورجال ضحوا بأنفسهم ونفائسهم في سبيل الله .

(فقه السيرة) من أروع ما كُتب :

هكذا ينبغي أيها الإخوة أن نتعلم سيرة الرسول ﷺ ، نتعلمها من الثقات ، من العلماء ، نتعلمها أول ما نتعلمها في كتب مبسطة ، ومن أعظم ما كتب في عصرنا كتاب (فقه السيرة) للشيخ محمد الغزالي رحمه الله ، كتبه وكان منتدبا في المدينة ، بجوار مسجد رسول الله وقبر رسول الله ﷺ ، فكان يكتبه بعاطفة مشبوبة ، يقول : كانت دموعي تختلط بمدادي ، وأنا أكتب هذا الكتاب عن رسول الله ﷺ[1] .

ينبغي أن نقرأ ، هناك كتب كثيرة ، لكن ابدأ بكتاب ، ثم بكتاب ، ثم بكتاب ، وستجد أنك ستتلذذ وتسعد بهذه القراءة .

هناك أناس يجدون لذتهم في قراءة المجلات ، وربما المجلات التي لا قيمة لها ، ولا أخلاقيات لها ، إنما اقرأ الكتب النافعة ، تلذذ بقراءة هذه الأشياء النافعة كما كان بعض السلف حينما سئل : فيما سعادتك؟ فيما لذتك؟ قال : في حجة تتبختر اتضاحا ، وفي شبهة تتضاءل افتضاحا[2] .

---

(١) راجع مقدمة فقه السيرة للشيخ الغزالي .

(٢) ذكره النسفي في تفسيره (١/ ١٢) والزمخشري في تفسيره (١٧/١) .

حينما أجد الحجة أمامي واضحة بينة ، أتلذذ أنتعش ، أشعر بسعادة غامرة ، وحينما أجد الشبهات تفتضح أمامي ، تقومها الحجج القاهرة ، فلا تقف أمامها ، أسعد بهذا .

يجب أن تسعد أيها المسلم بالقراءة النافعة في سيرة نبيك محمد ﷺ ، فهذا مما يجب علينا نحو رسول الله . يجب أن نقرأ عن سيرته .

إيصال السيرة النبوية مطلوب إلى كل الناس :

ويجب أن نكتب من جديد كتبا أيضا عن رسول الله ﷺ بلغات العالم ، يجب أن نكتب بلغات العالم ، ونستخدم الأدوات الحديثة ، آليات العصر ، الفضائيات في كل مكان ، شبكة الإنترنت ، هذه الأشياء كلها يجب أن نستغلها لنعرف الناس بهذه الشخصية العظيمة ، شخصية محمد ﷺ ، التي وصفها الله في كتابه وأثنى عليها هذا الثناء العظيم حينما قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم:٤) ، أثنى الله على محمد بهذه الجملة الرائعة ، البليغة ، لم يثن عليه أنه صائم النهار وقائم الليل ، كثير التسبيح والتحميد والتهليل ـ وهو كذلك ـ ولكنه أثنى عليه بهذا الأمر ، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ . . . ﴾ بهذا التأكيد ، هذا الأسلوب والجملة الإسمية ، وهي أوكد من الجملة الفعلية ، ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ . . . ﴾ (إن ، والكاف ، واللام) هذه كلها مؤكدات . ولم يقل : إنك لعلى خلق حسن ، لا ، فرق بين الخلق الحسن والخلق العظيم ، كثير من الناس أخلاقهم حسنة ، أما أن يكون الإنسان خلقه عظيم ، فهذا شيء قلما يوجد .

ومن الذي قال له هذا؟ إنه الله ، لم يقل له بشر مثله ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، ولكن الله ربه ،خالقه ، الذي بعثه بالهدى ودين الحق ، الذي أدبه فأحسن تأديبه ، وعلمه فأكمل تعليمه ، الذي أنزل عليه القرآن ، هو الذي قال له : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ .

علينا أيها الإخوة أن نتعلم سيرة رسول الله ﷺ ، وأن نعلم الناس بعد ذلك هذه السيرة ، هذه واجباتنا نحو هذا الرسول العظيم ، علمتنا إياها هذه الأحداث المؤسفة ، ولكن رب ضارة نافعة .

على أمتنا الكبرى أمة الإسلام ، أمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ، على هذه الأمة من المحيط إلى المحيط أن تحب رسولها كما أثبتت ذلك هذه الأحداث ، وأن تحول هذا الحب إلى واقع ، إلى إيمان ملموس بما جاء به محمد ﷺ ، وأن تحول هذا الإيمان إلى عمل وسلوك في حياتها كلها الفردية والأسرية والاجتماعية والأممية ، وأن تدعو الناس إلى هذا كله ، كما تعمل بالإسلام عليها أن تعمل إلى رسالة الإسلام وتدعو إليه العالم .

الأمة الإسلامية أمة دعوة ، ليست أمة منكمشة على ذاتها . لا . أمة دعوة ، تريد أن تنشر دينها في العالم ، مكلفة أن تنشر هذه الرسالة إلى العالمين ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) . وكل ضلال ضلته الأمم المختلفة ، الأمة الإسلامية مسئولة عنه ، لماذا لم تبلغ رسالة محمد إلى هذه الأمم؟!

ثم عليها بعد ذلك لكي تكون دعوتها على بصيرة ، أن تتعلم سيرة هذا الرسول الكريم ، وتتعلم سنة هذا الرسول الكريم ، وتتعلم رسالة هذا الرسول الكريم ، رسالة الرحمة والهداية ، التي قال الله فيها : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾.

* * *

OBEIKAN.COM

● **الخطبة الثانية :**

أما بعد . . . فيا أيها الإخوة المسلمون :

لي كلمتان أيها الإخوة :

الكلمة الأولى : (زعم باطل) :

أنه قد نشرت بعض الصحف في الخليج ، وبعض مواقع الإنترنت أني دعيت إلى بيان أصدره مجموعة من العلماء وأني رفضت التوقيع عليه ، وهذا ليس بصحيح ، لم يعرض علي أي بيان ، ولا أعرف من دعا إلى هذا البيان ، وقد قرأت هذا البيان وقد وجدت كل ما فيه هو ترديد لما قلته في هذه الخطب ، وما دعا إليه الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين من قبل .

فنحن دعونا إلى الغضب ، ودعونا إلى يوم الغضب[1]، يوم الجمعة المعروف هناك ، واستجاب العالم لنداء الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ، والحمد لله .

وكان الغضب الذي دعونا إليه غضبا عاقلا حكيما غير متهور ولا متجاوز للحدود ، وحينما حدث ما حدث من إحراق بعض الكنائس أو إحراق بعض السفارات ، أنكرنا هذا ودنَّاه[2] .

فالكلام الذي قاله الإخوة ؛ أنا دعوت إليه من قبل ، فمن العجب أن يقول بعضهم : إن الشيخ القرضاوي رفض التوقيع لأنه يريد التصعيد .

هذا الكلام حقيقة لا أساس له ، ومفترى علي ، أنا أردت التصعيد في وقت معين ، أن يصل الغضب إلى الأمة الإسلامية في كل مكان ، لتعرف الإساءة إلى رسولها ، ولكن لا أريد التصعيد بمعنى أن يتجاوز الأمر حدوده ، هذا ما رفضته . أردت أن أوضح موقفي هنا .

---

(١) كان ذلك بتاريخ : ٢٠٠٦/٢/١٠م .

(٢) في برنامج الشريعة والحياة .

الكلمة الثانية : مجاعة القرن الإفريقي :

الأمر الثاني أيها الإخوة :

أريد أن أنبه إلى أمر عظيم ، لا أدري لماذا غفل الناس عنه ، ولماذا يغفل الناس عنه إلى يومنا هذا . هذا الأمر العظيم الذي يفتت الأكباد ويقطع نياط الفؤاد ، وتذهب النفوس ، تذهب النفوس من أجله حسرات ، وتفيض العين من أجله عبرات ، هذا هو المجاعة في القرن الأفريقي ، ألم تروا آثار هذه المجاعة في التلفزيون؟!!

ألم تروا هذه البطون الخميصة؟!!

ألم تروا هذه السيقان الهزيلة كأنها عصي؟!!

ألم تروا هؤلاء الأطفال الذين يموتون أمامنا دقيقة بعد دقيقة؟!!

ألم تروا هؤلاء الناس الذين يشربون أبوالهم لأنهم لا يجدون الماء؟!!

ألم تروا هذه الحيوانات التي تنفق يوما بعد يوم؟!!

هؤلاء الناس الذين طال عليهم الأمد ، والعالم كأنه غافل عنهم لا يحس بهم ، لماذا نهتم بتسونامي وغيرها من الأشياء التي حدثت ولا نهتم بهذا؟!!

لماذا نهتم بجماعة ولا نهتم بأخرى؟!!

يجب أن يكون اهتمامنا واحدا للجوعى والعطشى ، الذين يهلكون جوعا وعطشى وهزالى . حرام علينا والله ، حرام على الناس ، حرام على العرب ، حرام على المسلمين ، حرام على البشر جميعا أن يتركوا هؤلاء ولايمدوا لهم يد المعونة .

أمن الإسلام؟ أمن الإيمان؟ أمن الأخلاق؟ أمن الإنسانية؟ أن تأكل ملأ بطنك ، وأن تنام ملأ جفنك ، وأن تشرب حتى ترتوي ، وهؤلاء لا يجدون قطرة من الماء ؟!!

حرام والله هذا .

لماذا لا ندفع لهؤلاء؟ لماذا لا تعمل الجامعة العربية؟ لماذا لا تعمل منظمة المؤتمر الإسلامي؟ لماذا لا تعمل منظمات الأمم المتحدة؟ لماذا لا يعمل هؤلاء؟

لماذا لا يتنادى هؤلاء لإغاثة هؤلاء الملهوفين ؟

لإطعام هؤلاء الجائعين !

لسقي هؤلاء العطشى !

هذا ما أعجب له .

إنني أدعو الناس جميعا ؛ أدعو المسلمين أولا ، أدعو الجمعيات الخيرية في قطر وفي بلاد الخليج ، أن تهب لنجدة هؤلاء ، أن تهب لنجدتهم ، وأن تعمل كل ما تستطيع .

لقد عملت وجزاها الله خيرا من أجل إنقاذ إخواننا في باكستان ، وفي أندونسيا وغير ذلك ، فعليها أن تعمل لنجدة هؤلاء ، أن تخصص لهم شيئا ، لا بد .

طلب أحد الزعماء في الصومال ستين مليونا لإنقاذ عدة ملايين ، إسعاف ، طلب إسعافا ، إغاثة الملهوف ، ستين مليونا!! ستين مليونا يا قوم !! ويعجز العالم عن ستين مليونا!!

واحد ملياردير يمكنه أن يدفع ستين مليونا ، دولة من الدول ممكن تدفع الستين مليونا .

لماذا سارعتم لنجدة أمريكا؟ دفعتم لها الملايين وعشرات الملايين ، وأمريكا ليست محتاجة ، يكفيها أن تسحب جنودها من العراق وجيوشها لتوفر عشرات الملايين ، ومئات الملايين ، بل عشرات البلايين مش الملايين ، عشرات المليارات .

ندفع لأمريكا ولا ندفع لهؤلاء؟!!

OBEIKAN.COM

حرام والله أي حـرام . وعـار والله أي عـار ؛ أن تقـف الأيـدي مكتوفـة أمـام هؤلاء ولا يقدم لهم أحد معونة؟!

وكل يوم تعرض علينا شاشات التلفاز هذه المناظر التي تعصر الإنسـان مـن الألم عصرا ، وتذرف الدموع من أجلها ذرفا ، هذا عجيب والله .

أدعو الخيّرين إلى نجدة هـؤلاء ، وأدعـو جمعيـة قطـر الخيريـة ، وجمعيـة الشيخ عيد ، واللجنة المشتركة في قطر ، وجهات الخير كلها في بـلاد الخلـيج ؛ أدعوهـم أن يغيثوا هؤلاء ، إن الله يحب إغاثة اللهفان .

وأي لهفة عند هـؤلاء؟ الـذين يموتـون أمامنـا ، نـراهم يموتـون أمامنـا مـن الجوع ، ونحن والله قادرون أن نفعل الكثير . نحن نلقي في (درامات) القمامة ، الفضلات تكفي هؤلاء ، في بلاد الخليج ترمى هذه الأشياء ، وهم محتاجون إلى اللقمة .

رأيت من يبحث في القمامة عن لقمة ، رأيت من يأتي بعظمـة قديمـة يريـد أن يكسرها عسى أن يجد داخل العظم شيئا ، عظمة قديمة .

هذا والبشرية ترى هذا وتتفرج وكأنها لا ترى شيئا .

يا لله يا للهول ، يا للمصيبة ، أين البشر؟ أين القلوب الرحيمة؟ أين الضمائر الحية؟ أين الذين يخافون الخالق ويرحمون المخلوق؟

نسأل الله عز وجـل أن يـنير بصـائرنا ، وأن يبعـث في قلوبنـا الحرقـة علـى إخواننا ، وأن يغيث لهفة إخوانـنـا ، وأن يفـرج كربـاتهم ، وأن يكشـف همهـم ، اللهم آمين .

* * *